دلالة التعبير القرآني في سورة الكهف

أ.م.د. عزيز سليم القريشي
جامعة واسط/ كلية التربية

الملخص

يعد التعبير القرآني ذا دلالات واضحة في بيان النصوص القرآنية ، ولا سيما تلك التي تتخذ في ألفاظها سمة التقارب الألفاظ أو غيرها سواء أكانت من جانب السياق أم من جانب الذكر والحذف . فكانت الدراسة تحت عنوان (دلالة التعبير القرآني في سورة الكهف) وسبب في الاختيار لهذه السورة لما فيها من أسلوب قصصي متنوع تمثل بأربع قصص ،وجاءت منهجية البحث على مبحثين :

الأول: تحت عنوان (التنوع في التعبير القرآني ،إذ شمل دلالة التعبير بالمفرد بدل الجملة ، وكذلك دلالة الحذف فضلا عن تناوله دلالة المجمل بالمفسر .

الثاني: فقد بينت فيه اثر السياق في دلالة التعبير ، إذ شمل على التعبير بالألفاظ المتقاربة ، والتعبير بالذكر والحذف ، وكذلك اشتمل على دلالة التعبير بالعدول من حيث الألفاظ والحروف والضمائر ، ثم الخاتمة واهم ما توصل إليه البحث .

Abstract

The semantic of holy quranic linguistics it was very clear im quran text thear are three level of the quranic linguistics series in tegrates the study of morphologe andgramar and intro duces the highest discipline in aradic rhetoric

In rhetoric we learn how to say the right thing at the right time for the given audience

المقدمة

يعد التعبير القرآني في سورة الكهف ذا دلالات واضحة في بيان النصوص القرآنية فمنها ما هو ظاهر ومنها ما يحتاج إلى وفقه تأملية وتحليله للوقوف على المعنى، لا سيما تلك التي تتخذ في ألفاظها سمة التقارب، مع إن تلك الدلالات تختلف بشكل واسع من نص إلى آخر،استنادا إلى الأساليب اللغوية،والبيانية المتنوعة ،فتكشف أسرار البيان القرآني ،ودقّة نظمه .

وقد أشار جملة من الباحثين إلى كثير من تلك الأساليب بما يعرب عن جزالة التعبير القرآني، فأوضحوا ما دق من خفايا الدلالات،وكشفوا عن نقاب بعض معاني الألفاظ.

المبحث الأول: التنوع في التعبير القرآني

أ- دلالة التعبير بالمفرد بدل الجملة

جاء في قوله تعالى :(**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا**)١ في الآيتين الكريمتين ، قد وصف الله سبحانه وتعالى الكتاب بوصفين فقال: (**وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا**) لان نفي الاعوجاج عن الكتاب يعني الاستقامة والاعتدال و(**قَيِّمًا**) جعله مستقيما وهو القائم بصالح العباد،لما فيه من الأحكام والشرائع الموجبة لاستقامة الدين ٢ .

وفي نفي العوج عنه ،ووصفه بالقيم دلالة على انه في غاية الاستقامة ، وهو إشارة إلى كونه كاملا في ذاته وقوله تعالى :(**قَيِّمًا**) إشارة إلى كونه مكملاً لغيره، وهو بذلك سببا لهداية الخلق وإكمال حالهم٣ .

والعوج عند العرب هو خروج الكلام من الصحة إلى الفساد ومن الحق إلى البطل ، والله نفى هذا الشيء عن الكتاب وهو القران الكريم ، وبذلك يكون مستقيما وأكد بذلك قوله:(**قَيِّمًا**)**مستقيما معتدلا.**

وبهذا يكون المعنى مطابقا ما بعده لما قبله٤ ،والملاحظ إن لفظة (عِوَجا) **جاءت نكرة في سياق النفي ، ليعم جميع أنواعه أي انه في غاية الاستقامة لا تناقض ولا اختلاف في معانيه**٥ فهو كامل لا يعتريه ما يقل من قدره فضلا عن لفظة (عِوَجا) **هي استعارة في الشيء الحسي الذي يقبل الطي والاعوجاج – وهذا من باب استعارة الحسي للمعنوي – فكلام الله سبحانه وتعالى المعنوي والاعوجاج شيء حسي ، وإنما جيء به للإيضاح ، لان الله سبحانه وتعالى تبعه بـ(قَيِّماً) وهو نوع من أنواع البديع ويسمى (الإيغال) وهو وضع صفة الشيء ثم الولوج في أبعادها ، فأولا نفى الله سبحانه وتعالى الاعوجاج والانحراف عن القران الكريم ،ثم زاد على ذلك فوصفه بالقيم الذي فيه نهج يهدي الناس** ويرشدهم إلى طرق الصواب ، وإنما أريد من وراء ذلك الإحاطة والشمولية٦ وقد يدخل النص القرآني في باب التكرار،لان نفي الاعوجاج إثبات الاستقامة له وجاء بـ(قيما) وهو تكرار لفائدة منقطعة النظير ، وهي التأكيد والبيان وهو من تكرار المعنى بالدلالة ،فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة مجمع على استقامته ، إلا أن النظر الفاحص الموثق قد يجد له أدنى عوج ، فلما اثبت له الاستقامة ،أزال بقاء تلك الأدنى التي يدق على النظرة السطحية الأولى ،فقد طبق الله سبحانه وتعالى بين (العوج والاستقامة) حتى لا تكون هنالك حجة أو مجال لمنتقد٧ . ويمكن أن يكون (قيما) بدلا من قوله: (ولم يجعل له عوجا) ويكون بدل مفرد من جملة

ومن جانب آخر فقد اضطربت أقوال النحاة والمفسرين في إعراب قوله تعالى: (**وَلَم** تعالى: (**وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا**) وقوله تعالى: (**قَيِّماً**) وقع اختياري على بعض الآراء وبيان دلالتها ، إذ أكثر المفسرين اعتمدوا عليها في بناء ارائهم إذ جعلوا النص الأول حالا من الكتاب٨ فمن جعلها حالية ففيها إحاطة تامة بماهية الكتاب الخالي الخالي من أي شائبة تشوبه ، لأنه الطريق إلى الهدى والكمال ، وكذلك أشار بعض المفسرين المفسرين إلى أن الجملة تكون جملة اعتراضية بين الحال وصاحبه٩ قد ذكرت في هذا

هذا الموقع على الاستدراك قبل ولوج لفظة (قيما) لتبين السبب وراء ماهية قوله تعالى تعالى : (**ولَم يجعل لَّهُ عِوَجا**) الخالية من كل عيب أو هفوة في ما يقع به البشر. البشر.

أما من عدّ (قيما) حالا فهو من الإحاطة التامة ، وتكون بمثابة الإيغال في الصفة ،فهو الكتاب ليس فيه عوجا . ومن العلماء من ذهب إلى انه من باب التقديم والتأخير١٠، وأصله :(الكتاب قيما لم يجعل له عوجا) ، فقد أ شار إلى ذلك فخر الدين الرازي في تفسيره إذ يقول: (قال الواحدي : جميع أهل اللغة والتفسير قالوا هذا من باب التقديم والتأخير) ١١ إن الترتيب التي جاء به القران الكريم يدل دلالة واضحة وصريحة على أن الكتاب السماوي كاملا مكملا بذاته لا يحتاج لغيرة ليكمله فهو كتابي سماوي خالي من كل شائبة أو عيب لان الله سبحانه وتعالى تحدى الجن والإنس

ويبدو مما تقدم ان قوله تعالى: (**وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا**) وان كانت تحمل معادلا موضوعيا للفظة (قيما) إلا أنها أتت بمعنى الكمال الخالَي من العيوب ، ثم تأتي لفظة (قيما) بإيحاء للهداية والصلاح ،وهي التالية فأولا إثبات صحته وخلوه من العيوب ثم تأتي الهدية لان وهنا تأتي ماهية الدلالات المتقدمة وماهية التقديم والتأخير .

ب – دلالة التعبير بأسلوب الحذف

يعد الحذف أسلوبا من أساليب العرب ، وهو أسلوب معهود ومسلك معروف ويعمدون إليه لتحقق أغراض معينة ، تفيد في دلالته تقوية الكلام ، وإخراجه على الأسلوب الأمثل ،ولا يكون عبثا ،وإنما زيادة اللذة في استنباط المعنى المحذوف١٢

وقد جاء القران الكريم على وفق نهج العرب في الكلام, ومن ذلك ما جاء في قوله قوله تعالى:(**قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً**) ١٣ وقوله تعالى: (**وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ** ١٤ في الآيتين الكريمتين ورد الفعل (ينذر)مرتين ،ففي الأول حذف المفعول به

المفعول به الأول واكتفى بذكر المفعول الثاني (**بأساً**) ودلالة الحذف هنا لإعطاء معنى العموم ،وكأن الإنذار للكافر غير المؤمن ، وكذلك للمؤمن المرتد ،أو للمؤمن التي التي يقوم بمعصية واستحق العذاب١٥ والفعل يتضمن تحذيرا وتخويفا ، من عذاب الله سبحانه الله سبحانه وتعالى .

أما النص الثاني فقد حذف المفعول به الثاني للفعل (ينذر) ،وذلك بدلالة المفعول به الثاني من الفعل الأول (فحذف المنذر أولا لدلالة الثاني عليه ،وحذف المنذر به لدلالة الأول عليه وهذا من بديع الحذف ، وجليل الفصاحة)١٦ ويظهر أن حذف المفعول به قد جاء واقعا موصوفا وصفته (**الذين قَالُوا**) ، وذلك للتركيز على الأهم ، لان ما قالوه عظيم ، وذلك لأنهم جعلوا لله ولدا ، وهذا من باب المبالغة والظاهر أن وراء حذف الكافرين (المفعول به) هو إعطاء شمولية للقران الكريم للازمان اللاحقة ، فالتهدية شامل لكل من يعصي الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه واله وسلم على مر الأزمان ،وكذلك فلعل إخفاء لفظة الكافرين فيها تقليل واستهانة بشأنهم –والله اعلم –

ت – دلالة التعبير بالمجمل والمفسر

ورد في القران الكريم كثير من النصوص التي تحتاج إلى دليل لبيان معناها، وهو ما أطلق عليه العلماء من الأصوليين والمفسرين بالمجمل . والمجمل يحتاج لتفسيره نص قراني أو حديث من السنة النبوية الشريفة لبيان معناه ، فهو ١٧ (ما يحتاج إلى بيان فليس بحدٍّ له ولا تفسير ، وإنما هو ذكر أحد أصول بعض الناس معه ، والشيء يجب أن تبين صفته في نفسه التي بها يتميز) ١٧ فان حقيقة المجمل هو المشتمل على جملة أشياء كثيرة غير ملخصة تحتاج إلى بيان معناها ١٨ والمفسر هو (ما زاد وضوحا على النص على وجه لا يبقى فيه احتمال التخصيص إن كان عاما ، والتأويل إن كان خاصا) ١٩

وجاء في سورة الكهف في قوله تعالى: **فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا**)٢٠ فالنص القرآني أجمل فيه عدد السنين ، ولم يذكر تفصيلها ،إما قوله

تعالى: (**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً**) ٢١ فالنص القرآني بيان لمدة لبثهم في الكهف حال النوم ،وهو تحرر هذا العدد بإخبار من الله سبحانه وتعالى ٢٢ .

والسبب في عدم بيان السنين وإجمالها في النص الأول ، لان التركيز لم يكن على عدد السنين ، وإنما على ماهية القدرة الربانية بدليل قوله تعالى: (**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً**) ٢٣ ولظاهر كذلك من خلال الفعل (ضربنا) الذي فيه قوة ناجمة من حروفه الانفعالية ذات الصوت العالي الدالة على قدرة الله سبحانه وتعالى البينة الواضحة، فأمام قدرة الله سبحانه وتعالى لا حدود للعجب ، وذلك لأنه لا حدود لقدرته سبحانه وتعالى ،فضلا عن أسلوب الإجمال في الآية المتقدمة ، جاء ليمثل أسلوبا تشويقيا، وذلك ليتابع المتلقي النص حتى يصل إلى عدد السنين ، وهو أسلوب قصصي سردي يقوم على تقديم الإطار العام ثم الولوج إلى التفاصيل الأخرى ، ليبقى القارىء على التلقي والرصد.

المبحث الثاني :اثر السياق في دلالة التعبير القرآني

للسياق أهمية كبرى في توجيه كثير من الألفاظ ، ومكان متميز في توجيه البحث الدلالي عند العلماء، لان علاقة السياق بالدلالة علاقة وثيقة لا يمكن فصل احدهما عن الآخر ى، فمراعاة الترتيب تعطي معنى محددا للكلمات ذات المعاني المتقاربة ، والسياق قد يكون هو الإطار العام للمعنى الذي يعطي التكامل

أ- التعبير بالألفاظ المتقاربة

يعد القران الكريم من أكبر النصوص اللغوية ،التي تسم بكثير من الألفاظ المتقاربة ، إلا المتقاربة ، إلا أن السياق كان له الأثر الكبير في بيان معاني الألفاظ . ومن ذلك قوله قوله تعالى: (**فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً**) ٢٤ وقوله تعالى: (**فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ قَالَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً**)٢٥ و الاختلاف في دلالة التعبير

الصبين يعود إلى السياق ،فنكر لفظة (إمراً) وتعني الداهية تستعقب مصائب لم يقع شيء يقع شيء منها، ومع قتل الغلام استعمل لفظة (نُكْراً) ، أي منكرا يستنكره الطبع ولا ولا يعرفه المجتمع ، وهو أفظع وافجع عند الناس والعرب٢٦ .

والذي يبد واضحا إن السياق الأول (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً) دال على تقبيح الفعل ، بيد انه جاء بلفظة تحمل من الليونة أكثر ما تحمل من الشدة لان النبي موسى عليه السلام في إطار الاختبار الأول ،فضلا عن ذلك ،أن الموت لم يقع على الناس المقيمين بالسفينة ، بعبارة أخرى ، الضرر ليس كثيرا ، لان الإصلاح ممكن للسفينة٢٧ .

أما النص الأخر (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً) فقد جاء في باب التشنيع والتقبيح للفعل، لان الفعل أدى إلى إزهاق نفس بغير ذنب ،وفي هذا السياق لا سبيل إلى تداركه بخلاف الأول التي يمكن تداركه٢٨ ولظاهر أن الفعل الثاني واقع أيضا في باب التهويل والتعجب بدليل الاستفهام السابق له ،

ويظهر التعجب بدليل التفسير والتوضيح الموضوع أمام كلمة (نكرا) إذ كانت العبارة أطول (أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ) أما العبارة الأولى فغاب البحث عن الماهية (لِتُغْرِقَ أَهْلَها)

ب- *التعبير بالنكر والحذف*

عبر القران الكريم في مواضع كثيرة عن نصوص قرآنية متقاربة في السياق السياق بزيادة حرفا أو لفظا ، وهذه الزيادة تؤدي إلى زيادة التوكيد في المعنى ،لان ،لان كل زيادة في المبنى يؤدي إلى زيادة في المعنى ، وكل زيادة تأتي مع السياق التي ترد فيه، ومن ذلك جاء في قوله تعالى: (قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً) ٢٩ ٢٩ وقوله تعالى :(قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً) ٣٠ وقوله تعالى: (قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً) ٣١ إن الأسلوب التي جاءت به الآيات القرآنية أسلوب سردي فيها بيان قصة النبي موسى مع الخضر عليهما السلام ،إلا السلام ،إلا أن الآيات المتقدمة جاءت في سياقات تختلف عن الأخرى ، لاختلاف وتقدم

وتقدم أحداث القصة ،وكل زيادة في النصوص الكريمة هي زيادة في المعنى لذلك السياق السياق التي ترد فيه، ويظهر أن النص القرآني قائم على طرفين نبي عالم وعبد اعلم منه اعلم منه ، ولذا كانت العبارات غير مطولة٣١ ، فتاتي (**لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً**) وتتكرر مرتين، بيد إن الأولى جاءت في باب الإخبار ، لان الجملة هنا خبرية خارجة للاستبعاد وشعور الخضر عليه السلام بعدم قدرة الأول على المطاولة . والسياق يدل على ذلك من خلال قوله تعالى : (**وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً**) ٣٣ لتخرج هي الأخرى للاستبعاد ، وما ذلك تمهيد للنبي موسى عليه السلام السلام ،كي لا يقع في ما لا يعلم به ٣٤ .

أما الآية الثانية فقد جاءت أكثر حدة من الآية الأولى ، لان الجملة الاستفهامية تتقدم على الخبرية لتعكس حالة النص الأول ، لان جملة الاستفهام داخلة في باب التذكير واللوم التي يحمل في طياته نوعا من الحدة والقوة بدلالة (ألم اقل لك) الدالة في الباب المجازي المتقدم للاستفهام

أما النص الثالث ، فقد اكد بزيادة (لك) فالضمير المجرور جيء به تأكيدا ليقابل بالكلام ما وقع له جوابا من قول النبي موسى عليه السلام ، وبذلك للزيادة في مكافحة العتاب على نقض الوصية مرة بعد مرة ، وما كان ذكرها إلا لتشخيص اللوم وإيقاعه في حيز الموجود المخاطب ، فبإضافة الضمير(لك) جاء الكلام دالا على وجه الخصوص والتعيين للنبي موسى عليه السلام٣٥.

وكذلك يعد الذكر والحذف من الموضوعات المهمة في القران الكريم واللغة العربية ، وهو حسب ما يقتضيه المقام ، فإذا اقتضى المقام الذكر ذكر وإلا لم يذكر٣٦ .

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : (**فَمَا اسطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً**) ٣٧في الفعل (استطاع) ثلاث لغات ، استطاع يستطيع ، واسطاع يسطيع بحذف التاء للخفة ، لان التاء قريبة المخرج من الطاء ، واستاع يستيع بحذف الطاء ، استثقلوا اجتماعهما من مخرج واحد٣٨ .

تكرر الفعل (استطاع) في النص القرآني مرتين ،فجاء في الأولى بحذف التاء وإثباتها في الثاني ، إلا أن السياق للفعل الأول استعمل معه الفعل (**يظْهروه**) أي: بمعنى يصعدوه ، وهنا نفي قدرتهم على الظهور على السد والصعود فوقه التي أجهدهم كثيرا ٣٩، وقد استغلوا كل جهدهم وقواهم ، فجاء الفعل (استطاعوا) ليبين تلك بدليل لفظة (نقبا) التي تدل على المطاولة والجهد الكبير من خلال معناها ، وحروفها القوية توحي بشدة الجهد .فان حذف التاء جاء مع الفعل الأقل جهدا وإثباتها مع الفعل التي يتطلب جهدا اكبر ، قال الغرناطي: (ولا شك أن الظهور أيسر من القب ، والقب اشد عليهم وأثقل ، فجيء بالفعل مخففا مع الأخف ، وجيء به تاما مستوفى مع الأثقل فتناسب ، ولو قدر بالعكس لما تناسب)٤٠ وكذلك فان الفعل (استطاع)خفة توحي بالسرعة التي حاولوا فيها عبور السد، والفعل (استطاع) فيه عملت التاء على تخفيف السرعة والثقل والصبر وطول الزمنية .

وفي الجانب نفسه قال تعالى :(**قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً**) ٤١ وقوله تعالى:(**وما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً**) ٤٢ والناظر للآيتين الكريمتين لا يمكن فصلهما عن السياق ، لان لانَ سياقهمَا السابق له الأثر الواضح في بيان المعنى ، فالنص الأول نلاحظ اثبت التاء التاء في الفعل (تستطيع) وحذفها من النص الثاني ، إلا أن سياق النص الأول هو إشارة إشارة إلى الفراق المترتب على تكرار السؤال عن الصوص المتقدمة ٤٣ من قوله تعالى: تعالى: (**فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا شَيْئاً إِمْراً قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ**

قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيهِ صبْراً) ٤٤ فالفعل الأول جاء بيانا وتوضيحا للنصوص المتقدمة ، وبما أن المقام مقام إطالة وتوضيح ، والتي تعطي إيحاء بالمطاولة والصبر أفعال الخضر عليه السلام المأمور بها النبي موسى عليه السلام ، ولما كان مقام إطالة أثبت التاء في الفعل ، والسياق اللاحق يبين أنّه في وتوضيح ، إذا قال تعالى : (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيهِ صبْراً) ٤٥ أما حذفها في الص الثاني الثاني ،فقد جاء في باب الهجر والفراق ، فجاء الفعل (تسطع) مخففا بحذف التاء ، وذلك وذلك أنه لا فائدة بعد ذلك من المطاولة ، ولبيان قصر ومحدودية صبر النبي موسى موسى عليه السلام على ما ظاهرة منكر والأنبياء عليهم السلام أكثر الناس رفضا للمنكر للمنكر _والله اعلم _

وكذلك لو رجعنا إلى قوله تعالى: (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً) فبلب الحذف تكرر مرتين ، فالأول حذف الجار والمجرور من قوله تعالى (يعملون في الْبَحْرِ) وأصله (يعملون عليها في البحر) وإنما حذف الجار والمجرور العائد على السفينة لعدة أسباب منها:

١- لوجود السفينة وهذا من باب الإيجاز

٢- أراد الص القرآني أن يعطي معنى الفقر التام لأصحاب السفينة ومدى قساوة عيشهم وكأنما يعملون في البحر بدون سفينة متحملين أهوال البحر وأخطاره

٣- بشاعة الملك وظلمه كأنما السفينة مأخوذة منهم

أما الحذف الثاني ،فقد جاء في قوله تعالى : (يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً) إذ حذفت الصفة من النص القرآني والتقدير : (كل سفينةً صالحة غصبا) وإنما حذفت الصفة وأبقى على الموصوف ،وذلك للمبالغة بشدة جشع الملك الظالم ،وكأنما يأخذ كل السفن الصالحة وغير الصالحة ليجعل المتلقي متعاطفا مع أجواء النص القصصي في إطار تشويقي.

ت- دلالة التعبير بالعدول

العدول من المصطلحات التي تعني ترك لفظ أو فعل أو حرف واستعمال شيء آخر ينوب عنه، خدمة للدلالة ،وهو في اللغة يسمى باب التناوب وفي البلاغة العربية يسمى بالالتفات

١- العدول بالضمائر

قال تعالى : (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً)٤٦ في النصوص المتقدمة دلالة على وجوب اللطف ،لأن مفهومه تدبيرَ من الله سبحانه وتعالى في عباده ، لم يكن يجوز خلافه، وقد عظّم الله سبحانه وتعالى شأنه بما يفهم منه هذا المعنى٤٧ .

والنظر إلى النصوص المتقدمة يرى أنه لا يمكن الفصل بينها ،لأنهما في سياق قصصي سياق قصصي بعضها يكمل بعضها الآخر ،فلم تأت الضمائر على نمط واحد ، فزادها أسرارا فزادها أسرارا عجيبة واحفلها المعاني الخصبة ، لا يمجها السمع ، وتحتويها الإذن٤٨ ، الإذن٤٨ ، ففي قوله تعالى: (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً) فقد جاء إسناد الضمير إلى نفسه في الفعل (فَأَرَدتُّ) وقد نسب الخضر عليه السلام إرادة الفعل إلى نفسه، لأنه ذكر

ذكر الاعابة فأسندها إلى نفسه لما فيها من عيب ، على الرغم من فعله حقيقة بأمر الله الله تعالى٤٩ . وهذا من باب الأدب ،فإسناد العيب إلى نفسه رعاية للأدب.

وفي النص الثاني من قوله تعالى : (**وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا**) الضمائر جاءت في الأفعال (أردنا – خشينا) والملاحظ أن الخضر عليه السلام أشرك نفسه مع غيره، من خلال الضمائر ،والظاهر في النص أن الإسناد قد جاء من باب خواص الملك ، أمرنا كذا ، فعلنا كذا، وان يعنون بأمر الملك ، والسبب الكامن من إشراك الخضر عليه السلام ،انه خشي من أن يحال بينه وبين ما أُمر به ، فلا يدرك ثواب الإمضاء فيه ، ووضع نفسه أن الله سبحانه وتعالى جعله سببا لرحمة أبوي الغلام ، فعمل فيه وسط الأمر من البشرية .

أما في النص الثالث من قوله تعالى : (**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**) فقد اسند الخضر عليه السلام الإرادة في الفعل (أراد) إلى الله سبحانه وتعالى ، لاختصاص التبليغ إليه، وان كان الخضر عليه السلام أراد ذلك ، فالذي اعلمه الله سبحانه وتعالى أن يريده ، وبما أن ذلك الفعل كان خيرا لله سبحانه وتعالى أضافه إلى جل وعلا شانه ٥٠ ، لأنه (لا يضاف إليه سبحانه وتعالى من الألفاظ إلا يستحسن دون ما يستقبح) ٥١ .

وفي الختام فالنصوص القرآنية ما هي إلا تفسير لما لم يستطع النبي موسى عليه السلام الصبر عليه ، لان ما شاهده من أفعال الخضر عليه السلام ظاهريا أفعال منكرة من خرق السفينة وقتل الغلام ومن طبع الأنبياء عدم الصبر على المنكر ، وإنما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقوله تعالى : (**وما فعلته عن أمري**) واختلاف إسناد الضمائر واختلاف دلالاتها ، كل ذلك يعود إلى اختلاف سياق الآيات ونظمها على الرغم أنها في سياق قصصي واحد.

٢- العدول بالألفاظ

جاء في قوله تعالى : (**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**) ٥٢ لفظ (وَراءهم) يطلق على الخلف وعلى الإمام ومعناها في الآية الكريمة تدل على أن الملك أمامهم ، ولا خلاف عند أهل اللغة أن (وراء) يجوز بمعنى قدام٥٣ ،وقد استعمل النص القرآني لفظة (وراءهم) وعدل عن لفظة (أمامهم) مع أنها واقعة في السياق الطبيعي ،لأن الملك واقع أمام أصحاب السفينة ،وإلا لما خرقها ،وإنما جاء بالعدول لإعطاء معنى الثقل الكائن فوق كاهل هولاء الفقراء الذين يخشون أن يسلب الشيء التي يعد مصدر رزقهم ، وبعبارة أخرى ،فان العدول إنما جاء ليبين شدة الثقل الواقع عليهم ، لان الحمل الثقيل إنما يوضع خلف الإنسان أي على ظهره ، وقال فخر الدين الرازي : (ما غاب عنك فقد توارى عنك وأنت متوار عنه ،فكل ما غاب عنك فهو وراءك وأمام الشيء وقدامه ، إذا كان غائبا متواريا عنه فلم يبعد إطلاق لفظ وراء) ٥٤

٣- التعبير بالحروف

جاء في قوله تعالى : ٠(**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا**) ٥٥ ولما كانَ ذو القرنين قد توغل في جوب الأرض حتىَ انتهى إلى البحر من جهة الغرب الغرب ، وجد الشمس تغرب في ماء وطين – حسب ما شاهده لا حسب الحقيقة- فان الشمس فان الشمس أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض ٥٦ ، وهنا كان النظر يتخيل النظر يتخيل إليه أن الشمس تغرب هناك ، فالخطاب ورد على حكم الحس في الظاهر لا الظاهر لا الحقيقة ٥٧، قال الرازي : (إن ذا القرنين لما بلغ أقصى المغرب ولم يبق بيق بعده شيء من العمارات وجد الشمس كأنها تغرب في عين وهدة مظلمة ،وان لم يكن

لم يكن كذلك في الحقيقة) ٥٨ إذا فاصل العبارة (تغرب عند عين حمئة) وسبب العدول في الحرف المتقدم هو المبالغة في مسير وجهاد ذي القرنين في البلاد ، وكأنما وكأنما وصل لنهاية الأرض من المشرق إلى المغرب ، ولا يخفى ما في ذلك من طوابع طوابع كنائية توحي بالتوغل من المشرق إلى المغرب وذلك ضرب من المبالغة .

الخاتمة

يعد التعبير القرآني من أسرار البيان التي لا تنتهي في القران الكريم ،ولا يقضي العجب فيها ، لما يحتوي من أسرار في انتقاء الألفاظ، ووضعها في سياقات لا يمكن لأي لفظة أن تحل محلها ، وهو موضع يدق عن العثور عليه بالنظرة العجيلة ، ولا يمكن اكتناه حسنه إلا بعد التأمل العميق و. ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث هي:

- التنوع في دلالة التعبير القرآني في سورة الكهف يعود إلى تنوع القصص في السورة التي ذكرت فيها أربع قصص ،فضلا عن رغبة المتلقي واشتياقه في متابعة الأحداث مما أدى إلى التنوع في التعبير
- التعبير بالمفرد بدل الجملة يدل على وضع صفة الشيء ثم الولوج في بيان أبعادها الدلالية التي تدل عليها
- بيان دلالة المجمل والمفسر وذلك ليمثل أسلوبا تشويقا لدى المتلقي ليتابع الأحداث إلى نهاية القصة ومعرفة أسباب ذلك
- كان اثر السياق فعالا في توجيه الألفاظ المتقاربة التي لا يمكن الفصل في دلالاتها إلا من خلال السياق فضلا عن بيان أسلوب الذكر والحذف ،فكل زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى ،فكل زيادة في السياق إلا لزيادة في المعنى الدلالي .
- يعد مصطلح التعبير بالعدول بالحروف والضمائر والألفاظ من المصطلحات التي تؤدي خدمة لدلالة السياق في توجيه المعنى ليعطي بعدا دلاليا في بيان المعنى المقصود من النص الا بعد التأمل .

الهوامش

١. الكهف : ١-٢

٢. ينظر : عيون التفاسير :٣/ ٣٨

٣. ينظر: التفسير الكبير : ٦٣/٢١

٤. ينظر: مجمع البيان :٣٥٥/٦ وتفسير الصافي :٣/ ١٦٠

٥. ينظر: البحر المحيط : ٩٤/٦

٦. ينظر : الميزان: ١٩٣/١٣

٧. ينظر: إعراب القران الكريم وبيانه : ٤/ ٤٣٨

٨. ينظر: التفسير الكبير: ٦٥/٢١ والبحر المحيط: ٩٤/٦ والميزان :١٩٦/١٣

٩. ينظر: إعراب القران الكريم وبيانه:٤٣٥/٤

١٠. ينظر: التبيان:٦/٧

١١. التفسير الكبير: ٦٤/٢١

١٢. ينظر : الملخص ودلائل الإعجاز

١٣. الكهف: ٢

١٤. الكهف: ٤

١٥. ينظر الكشاف :١٠٢/٥

١٦. البحر المحيط: ٩٤/٦

١٧. معجم مفردات ألفاظ القران:١١٠

١٨. ينظر: معجم مفردات ألفاظ القران: ١١١

١٩. التعريفات: ١١٨

٢٠. الكهف: ١١

٢١. الكهف: ٢٥

٢٢. ينظر: البحر المحيط : ١١٢/٦

٢٣. الكهف:٩

٢٤. الكهف: ٧١

٢٥. الكهف:٧٤

٢٦. ينظر:الميزان :٢٧٩/١٣
٢٧. ينظر: التفسير الكبير :١٣٥/٢١ ومختصر الأمثل: ١٥٣
٢٨. ينظر: ملاك التأويل: ٣٢٢ وعيون التفاسير :٥٧/٣
٢٩. الكهف:٦٧
٣٠. الكهف:٧٢
٣١. الكهف:٧٥
٣٢. ينظر: الجامع لإحكام القران:١٨/١١
٣٣. الكهف:٦٨
٣٤. ينظر :تفسير القران العظيم: ٢٣٧١/٧
٣٥. ينظر: تفسير البيضاوي:١٩/٢ وملاك التأويل:٣٢٣ وإعراب القران الكريم وبيانه:٥٣٣/٤
٣٦. ينظر: من إسرار البيان القرآني:٩٠
٣٧. الكهف:٩٧
٣٨. ينظر: التبيان:٧٨/٧ والتفسير الكبير: ١٤٦/٢١
٣٩. ينظر: ملاك التأويل :٣٢٤
٤٠. ملاك التأويل : ٣٢٤
٤١. الكهف: ٧٨
٤٢. الكهف:٨٢
٤٣. ينظر: مجمع البيان:٤٣٣/٦وعيون التفاسير: ٥٩/٣
٤٤. الكهف:٧١-٧٨
٤٥. الكهف: ٧٩-٨٢
٤٦. الكهف:٧٩-٨٢
٤٧. ينظر التبيان: ٦٨/٧
٤٨. ينظر: إعراب القران الكريم وبيانه: ٤/ ٥٣٦
٤٩. ينظر :تفسير الصافي : ١٧٩/٣
٥٠. ينظر: عيون التفاسير: ٣/ ٥٨
٥١. الجامع لإحكام القران : ١١/ ٣٨
٥٢. الكهف :٧٩
٥٣. ينظر إعراب القران الكريم وبيانه : ٥٣٧/٤

٥٤. التفسير الكبير : ١٣٧/٢١
٥٥. الكهف: ٨٦
٥٦. ينظر : صفوة التفاسير : ٢٠٥/٢
٥٧. ينظر : إعراب القران الكريم وبيانه : ٥٤٣/٤
٥٨. التفسير الكبير : ١٤٤/٢١

المصادر والمراجع

- القران الكريم
- إعراب القران الكريم وبيانه/ تأليف محيي الدين الدرويش/ منشورات ذوي القربى/
- التبيان في تفسير القران / تأليف أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت٤٦٠ هـ.) تحقيق/ احمد حبيب قصير العاملي/ الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع_ بيروت /ط١ ٢٠١٠م

- التعريفات/ السيد الشريف علي بن محمد بن علي الحسيني (ت٨١٦ هـ.) / مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده –مصر. د.ط
- تفسير البحر المحيط /محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسي(ت٧٤٥ هـ.) دراسة وتحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض/ دار الكتب العلمية – بيروت ط٢ ٢٠٠٧م
- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ تأليف القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥ هـ.) دار الكتب العلمية – بيروت /ط٣ ٢٠٠٦م
- تفسير الصافي/ تأليف المولى محسن الملقب (الفيض الكاشاني ت ١٠٩١هـ.) تقديم أسدالله العلوي/ منشورات ذو الفقار/ دار الجوادين– بيروت –ط١ ٢٠٠٩م
- تفسير القران العظيم مسندا عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم والصحابة والتابعين/ تأليف أبي حاتم (ت٣٢٧ هـ.) تحقيق/ اسعد محمد الطيب/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت– ٢٠٠٣م
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب / للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي (ت٦٠٤ هـ.) منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت –ط٢ ٢٠٠٤م

- الجامع لإحكام القران/ لأبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي / تحقيق عبد الرزاق المهدي / دار الكتب العربية – بيروت – ٢٠١٢م
- الخصائص / أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢ هـ.) تحقيق/محمد علي النجار / دار الشؤون العامة _ بغداد ط٤ ١٩٩٠م
- دلائل الإعجاز في علم المعاني / الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ هـ.) حققه وقدم له / الدكتور رضوان الداية/ والدكتور فايز الداية/ مكتبة سعد الدين – دمشق–ط٢ ١٩٨٧بهاء الدين دارتما/ دار صادر بيروت –ط١ ٢٠٠٦
- صفوة التفاسير / تأليف محمد علي الصابوني / دار القران الكريم _ بيروت ط٤ ١٩٨١

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / الزمخشري/ دراسة مصطفى حسين احمد/ مطبعة الاستقامة – القاهرة ط٢ ١٩٥٣م
- مجمع البيان لعلوم القران / الإمام السعيد أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨ هـ.) مطبعة رويال كرافك ١٩٧٢م
- مختصر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل / الشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ إعداد احمد علي ياياتي / المطبعة سليما نزاده /ط١ ٢٠٠٦م
- معجم مفردات ألفاظ القران / تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٣ هـ.) ضبطه وصححه/ إبراهيم شمس الدين / دار الكتب العلمية – بيروت – ٢٠٠٤م
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه من آي التنزيل / تأليف أبي جعفر احمد بن إبراهيم بين الزبير الثقفي الغرناطي (ت٧٠٨ هـ.) وضع حواشيه عبد الغني محمد علي الفارسي / دار الكتب العلمية – بيروت –ط١ ٢٠٠٦م
- من أسرار البيان القرآني / الدكتور فاضل صالح السامرائي/ الناشر دار الفكر – الأردن – ط١ ٢٠٠٩م
- الميزان في تفسير القران / تأليف العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي/ تحقيق الشيخ أباد باقر سلمان / قدم له السيد كمال الحيدري / دار إحياء التراث العربي – بيروت –ط١ ٢٠٠٦م